

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[15] على أنفسهم بما ارتكبه من فطيع الفعال، وما اقترفوه من شنيع الأعمال إـذ قالت: "أطننت يا يزيد ... أنّ بنا على الأ هواناً، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك ييمستوثقة والأُمور متّسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمه مه أنسيت قول الأ عزّ وجلّ: (ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إـنّما نملي لهم ليزدادوا إـثماً ولهم عذاب مهين) ". جواب على سؤال: إـنّ الآية الحاضرة تجيب ضمناً على سؤال يخالـج أذهان كثير من الناس وهو: لماذا يرفل بعض العصاة والمجرمين في مثل هذا النعيم، ولا يلـقون جزاءهم العادل على إـجرامهم؟ يـفـاـنّ القرآن الكريم يردّ على هذا التساؤل الشّائع قائـل: إـنّ هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الّذين تفتضي سُنّة الخلق ومبدأ حرّية الإنسان واختياره أن يتركوا لأنفسهم، ويوكّلوا إـلى أنفسهم ليصلوا إـلى مرحلة السقوط الكامل، ويستحقوا الحدّ الأكثر من العذاب والعقوبة. هذا مضافاً إـلى ما يستفاد من بعض الآيات القرآنية من أنّّه سبحانه قد يمدّ البعض بالنعـم الوافرة وهو بذلك يستدرجهم، أي أنّّه يأخذهم فجأة وهم في ذروة النعم، ويسلبهم كلّ شيء وهم في أوج اللّذة والتمتع، ليكونوا بذلك أشقى من كلّ شقي، ويواجهوا في هذه الدنيا أكبر قدر ممكن من العذاب، لأن فقدان هذا النعيم أشدّ وقعاً على النفس، وأكثر مرارة كما نقرأ في الكتاب العزيز: (فلمّا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أحذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) (1). _____ 1 - الأنعام، 44.